القدس عاصمة فلسطين السياسية والروحية 1908-1948 م

Jerusalem: Palestine's Political and Spiritual Capital 1908-1948

تحرير: نائلة الوعري

Author: Naela Alwaary

الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بيروت، 2022 م

Publisher:Arab Institute for Research & Publishing
Beirut – 2022

مراجعة: عبد الله معروف عمر

Reviewed by:Abdallah Marouf Omar

عدد الصفحات: 567

Pages: 567

تُعَدّ مدينة القدس مادةً خصبةً جدًّا للدراسة والتحليل والتقييم، مع ما لها من مكانةٍ روحيةٍ وسياسيةٍ كبيرةٍ تتمتع بها لدى مليارات البشر. وتُعَدّ الدراسات التي تتناول تاريخ المدينة المقدسة من الناحية السياسية شائعةً في الأوساط الأكاديمية، لكن ما يميز هذه الدراسة التي نشرتها الباحثة الدكتورة نائلة الوعري من خلال المؤسسة العربية للأبحاث والنشر هو تركيزها على أحد أكثر الجوانب التي تلقى تحديات كبيرةً في العصر الحديث من قِبَل الباحثين والأكاديميين الذين يروجون لروايَة الاحتلال الحالي للمدينة المقدسة؛ حيث تسعى سلطة الاحتلال إلى نشر وتعميم سرديةٍ تنص على أن القدس لم تكن ذات أهميةٍ مطلقًا عبر التاريخ الإسلامي وخاصةً من الناحية السياسية، ولم تكن تُعَدّ عاصمةً بالمعنى السياسي إلا عند إنشاء دولة الاحتلال التي أعلنتها عاصمةً لها. ومن هنا تأتي هذه الدراسة لتفنّد هذه السردية، وتبحث بدلًا منها في صورة القدس بصفتها عاصمةً سياسيةً وروحيةً لفلسطين في الفترة التي سبقت إنشاء دولة الاحتلال على أرض فلسطين عام 1948. اختارت الباحثة لذلك دراسة الأربعين سنةً الأخيرةً التي سبقت وقوع فلسطين تحت احتلال الحركة الصهيونية التي أنشأت دولة «إسرائيل» فوق أرض فلسطين، مغطيةً بذلك السنوات العشر الأخيرة من الحكم العثماني للقدس، مرورًا بفترة الانتداب البريطاني، وانتهاءً بإنشاء دولة الاحتلال الإسرائيلي على الأرض الفلسطينية وسيطرتها على الشطر الغربي من مدينة القدس عام 1948، وسيطرة الأردن على الشطر الشرقي من المدينة المقدسة. وبذلك تكون قد غطت أحوال المدينة بوصفها عاصمةً ضمن أربعة أجسام سيادية بالمعنى السياسي: العثماني، والفلسطيني والبريطاني، والأردني.

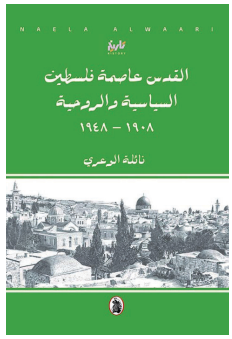

اختارت الباحثة أن تكون البداية الزمنية للدراسة من عام 1908 متزامنةً مع عودة الحياة

DOI:10.36360/1560-011-003-012

البرلمانية للدولة العثمانية، وهذا يجعلها منطلقةً من الفترة التي شاركت فيها القدس أول مرةٍ في تمثيل نفسها سياسيًّا في الدولة العثمانية، رغم أن إنشاء المجلس البلدي للمدينة الذي جاء بعد إنشاء المجلس البلدي للعاصمة إسطنبول مباشرةً عام 1863 كان يمكن أن يشكل إشارةً إلى المكانة السياسية العالية التي تمتعت بها القدس في العصر العثماني. ويُلحَظ هنا أن الباحثة اختارت الإشارة إلى فلسطين هنا بمفهومها الجغرافي الانتدابي الحالي، وهذه نقطةٌ يمكن أن تُؤخَذ على الكتاب لدى دراسة السنوات العشر الأولى من المدى الزمني للدراسة، حيث لم تكن فلسطين تعني الحدود الطولية المعروفة حاليًّا، إلا أن الباحثة تُبيّن أن مفهوم فلسطين كان قد تشكّل شعبيًّا في نهاية العصر العثماني ليشير عمومًا إلى منطقة غربي نهر الأردن، وهو ما يُعَدّ مفهومًا لدى القارئ إذا ما قورن بقصر هذه الفترة الزمنية التي كان فيها مفهوم «فلسطين» يتبلور في الذهن الشعبي العام في تلك الحقبة.

يأتي الكتاب في تسعة فصول، بحثت المميزات التي يمكن من خلالها القول إن مدينة القدس شكلت عاصمةً سياسيةً بكل ما تحمل الكلمة من معنى، إضافةً إلى كونها عاصمةً روحيةً. وتناولت الباحثة في كل فصل من هذه الفصول التسعة جانبًا يشكل ميزةً حضاريةً وسياسيةً وسياديةً خاصةً للقدس، يمكن عند جمعها الاستدلال على كذب سردية الاحتلال الإسرائيليّ بتدنّي المكانة السياسية والروحية للقدس فيما قبل عهد الاحتلال الحالي.

جاء الفصل الأول ليتناول المميزات الجغرافية للمدينة المقدسة التي تجعلها مؤهلةً لتكون عاصمةً، وذلك من خلال دراسةٍ للحاضنة الجغرافية التي تحيط بالقدس، وتجعلها ملتقى الطرق لمختلف المناطق الفلسطينية، إضافةً إلى توسطها الجغرافي في الأراضي الفلسطينية.

أما الفصل الثاني فانفردت فيه الباحثة بدراسةٍ لعلها غير مسبوقةٍ لتحصينات المدينة من الجانبين: المادي والمعنوي، حيث إن دراسة تحصينات المدينة المادية من أسوار وقنوات وأبراج وغيرها أمر معروف في دراسة التاريخ القديم والوسيط، ولا يكاد يؤبَهُ له في العصر الحديث، إلا أن الباحثة ربطت في هذا الفصل بين التحصين المعنوي للمدينة؛ نظرًا لمكانتها الروحية العالية، والتحصين المادي الذي ادّعت أنه لايزال حقيقة يسهم في حماية طبيعة المدينة وروحها، وهذا أمر قد لا يتنبه له كثير من الباحثين في العصر الحديث؛ إذ إن أسوار القدس على سبيل المثال لا تزال إلى اليوم تؤدّي دورًا كبيرًا في حفظ صورة المدينة وشخصيتها الحضارية رغم كل محاولات الاحتلال لتغييرها، وهو ما أخذته الباحثة بعين الاعتبار في هذا الفصل؛ لتذهب إلى القول: إنّ ذلك يعطي دلالةً على الشخصية الخاصة للمدينة المقدسة ليس له سبب أقل من كونها عاصمةً لفلسطين.

وفي الفصل الثالث درست الباحثة النسيج العمراني للمدينة المقدسة، وقدّمت فيه مرافعةً تقوم على أساس أن النشاط العمراني في المدينة المقدسة يُعَدّ دلالةً على كون القدس عاصمةً للبلاد، إذ لم ينافسها فيه أيّ من المدن الفلسطينية القديمة أو مستوطنات الاحتلال. وهذه المسألة تُعَدّ في الواقع أمرًا منطقيًّا؛ لكون العاصمة، سواء

السياسية أو الاقتصادية أو الروحية، في أيّ دولةٍ تُعَدّ في العادة الأكثر اهتمامًا من ناحية النشاط العمراني، وهو ما يُعَدّ مؤهِّلًا من مؤهلات القدس لتتبوأ هذه المكانة.

وأما الفصل الرابع فقد خصصته الباحثة للسكان، حيث بيّنت من خلال الوثائق والسجلات سيادة الاستقرار العام والأمن في المدينة المقدسة، وارتفاع عدد السكان نتيجة ازدياد معدلات الولادة وانخفاض معدل الوفيات وكثرة المهاجرين إليها بشكل أكثر من مختلف المدن الفلسطينية، وهذا يعطي الصورة العامة لإدراك الشعب موقع القدس السياسي والروحي في حياتهم وعدّهم إياها عاصمتهم، وهذا ما يبدو واضحًا حتى في الحراك الشعبي المتتالي في القدس خلال فترة الانتداب البريطاني وعبر محطات الثورات الفلسطينية المختلفة في تلك الفترة.

وركزت الباحثة في الفصلين الخامس والسادس على إدارة مدينة القدس بشقَّيها: المدني والعسكري، في فترة الدراسة. حيث تناولت عناصر التشكيلات الإدارية والسيادية على المدينة المقدسة في فترة الدراسة التي اضطرت فيما يبدو إلى مدها في بعض الحالات حتى عام 1951 تحت الحكم الأردني؛ لأجل إتمام الفكرة، وتناول شكل الإدارة العسكرية وطريقة التوزيع العسكرية للجيوش والقيادات في المدينة في فترة الدراسة، ليتبين من خلال ذلك أن الإدارات التي تولّت حكم مدينة القدس في تلك الحقبة تعاملت مع المدينة بوصفها عاصمة البلاد ومركز القيادة الرئيس فيها. وهذا ينطبق حتى على القيادة الشعبية المحلية الفلسطينية التي تولت زمام قيادة مقاومة الانتداب البريطاني بالتزامن مع إنشاء المجلس الإسلامي الأعلى.

أما الفصول الثلاث الأخيرة فقد خصّصتها الباحثة لدراسة فكرة الإجماع الشعبي على مكانة القدس بوصفها عاصمةً لفلسطين سواء من الناحية السياسية أم الروحية، وخصّصت كلّ فصل من هذه الفصول لدراسة مستوى من المستويات العامة للإجماع، ابتداءً من الإجماع المحلي الفلسطيني في الفصل السابع، مرورًا بالإجماع العربي والإسلامي في الفصل الثامن، وانتهاءً بالإجماع الدولي في الفصل التاسع. حيث درست الباحثة مظاهر الالتفاف الشعبي الفلسطيني حول مدينة القدس التي تشير بوضوح إلى أنّ هذا الشعب يَعُدّها عاصمتهم السياسية من خلال تبرعاتهم وأعطياتهم السخية للمشروعات المختلفة في المدينة، وتجمعاتهم في أوقات الحشد والمواجهة ضد الانتداب البريطاني والعصابات الصهيونية وغيرها من المظاهر، وشملت هذه المظاهر الجانب العربي والإسلامي الذي عدّ القدس على الدوام عاصمةً روحيةً تستحق المؤازرة والتضامن الدائم. وأما على الصعيد الدولي، فقد عدّت الباحثة أن أطماع البلدان الأوروبية في القدس عبر بعثاتها الدبلوماسية والتبشيرية ما كانت لتصل إلى هذه المرحلة لولا المكانة الروحية التي تتمتع بها المدينة المقدسة، ورصدت الباحثة عددًا من لجان التحقيق الدولية التي عكست مكانةً خاصةً للقدس في الضمير العالمي.

إن هذه الدراسة تُعَدّ ردًّا علميًّا وعمليًّا على الادعاءات التي تطلقها الآلة الأكاديمية الإسرائيلية في دعمها لسردية الاحتلال حول مكانة القدس

لدى المسلمين طوال فترة حكمهم لها، فهي تبيّن من خلال جمع كمّ كبير من الوثائق والسجلات التي تتميز بها هذه الدراسة أن مكانة القدس بوصفها العاصمة السياسية والروحية لفلسطين كانت مسألة إجماع فلسطيني وعربي وإسلامي وعالمي، ولم تكن مسألةً خاضعةً للنقاش، وهذا يُعَدّ خطوةً عمليةً في تثبيت الرواية العربية والإسلامية لمكانة القدس بحيث أهّلها لتكون العاصمة بكل ما تحمل الكلمة من معنى.

صفحات تجلب لك العالم

نحن نكتب الحقيقة، الحقيقة فقط، دون تنميق في الكلمات.

مهما يكن الحدث، نحن نقدمه لك كما هو.

بالنسبة لنا، العالم صغير،

لكن القوة التي نستمدها منكم، قوة عظيمة.

SABAH

صحيفة تركيا

TURKUVAZ
MEDIA GROUP

هذا هو عالمنا

مجموعة "تركواز ميديا جروب"، مجموعة إعلامية رائدة تضم عدة مؤسسات تعمل في مجال الصحافة والنشر والبث الإذاعي والتلفزيوني. تمتلك أوسع المجلات والصحف انتشاراً، وأشهر القنوات التلفزيونية، لتصبح المنصة الإعلامية الأقوى في الإعلام التركي.

والآن الفرصة متاحة أمامكم للاستفادة من هذه القوة لنشر إعلاناتكم.

TURKUVAZ
MEDIA GROUP